مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: جائحة كورونا وانعكاساتها في مستقبل القوة الصينية ومساراتها
اسم الكاتب: د. حكمات العبد الرحمن
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2740
تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 22:14 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جائحة كورونا وانعكاساتها في مستقبل القوة الصينية ومساراتها

د. حكمات العبد الرحمن*

الملخص

تركز الدراسة أن جائحة كوفيد– 19 قد أكدت على النظريات والتوقعات التي تُبشر بحدوث تغير في مستقبل النظام الدولي وعززت من فرضية إمكانية انتقال السيادة التي تقود حتمًا إلى إعادة تموضع القيادة العالمية في منطقة آسيا التي توصف بأنها مركز العالم الجديد، وهو تأكيد على دور الأحداث والأزمات التاريخية في إحداث نوع من التغيير في شكل النظام الدولي وطبيعته.

تأتي أهمية البحث من أهمية دراسة تأثيرات جائحة كورونا على مستقبل العالم من جهة وأهمية المرحلة التاريخية التي تزامن فيها ظهور هذا الوباء مع التداخلات العالمية وظهور بوادر تغير في طبيعة النظام الدولي وبنيته، وزيادة التفاعلات والاعتمادية المتبادلة بين الدول والمنظمات الدولية على كافة المستويات، وهي ظواهر ولدتها مجموعة من الأحداث الدولية ليس أولها سلسلة حروب الخليج ولا آخرها الانسحاب الأمريكي من أفغانستان.

يتكون الدراسة من أربع محاور رئيسة. يركز المحور الأول على توصيف النظام الدولي في الفترة التي سبقت مرحلة كورونا والتركيز بشكل أساسي على تأثير جائحة كورونا على دور الدولة والفواعل المهمة التي ساهمت أو التي كان من المفترض أن تساهم في التصدي للوباء في محاولة لإجراء مقارنة بين دور هذه الفواعل في فترة ما قبل الوباء والفترة التي تلته وتقييم هذا التأثير. وسنحاول في المحور الثاني تحليل تأثير فيروس كورونا على طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب ولاسيما العلاقة بين الصين

*جامعة دمشق – كلية الآداب – قسم التاريخ– تاريخ حديث ومعاصر – تاريخ الشرق الأقصى الحديث.

الصاعدة التي تُمثل الشرق والولايات المتحدة الأمريكية التي تُمثل الغرب. أما في المحور الثالث، فسنعرض بشكل مختصر الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في تفسير مآلات التنافس الأمريكي – الصيني وهي أسس لا تتغير بفعل الزمن ولا بسبب الأحداث وتتميز باستمرارية التأثير والفعالية في سياسات الدول واستراتيجياتها. وقد ركزنا على المعيارين التاريخي والجيو سياسي. ويتناول المحور الرابع والأخير مآلات وسياقات عالم ما بعد مرحلة وباء كورونا، وتأثير هذا الأخير على مستقبل القوة الآسيوية خاصة أن كل التوقعات تتنبأ بانتقال مركز القوة العالمية من منطقة الغرب الأوربي إلى منطقة الشرق الآسيوي، حيث تبرز الصين كأقوى الدول المرشحة للقيام بهذا الدور.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا– الصين– مستقبل القوة الصينية– التداخلات الدولية– التنافس.

La pandémie de Corona et ses implications pour l'avenir et les Voies de la Puissance Chinois

Dr. Hikmat ALAbdulrahmn

Résumé

L'étude se concentre sur le fait que la pandémie de Covid-19 a confirmé les théories et les attentes qui annoncent un changement dans l'avenir du système international et renforcé l'hypothèse de la possibilité d'un transfert de souveraineté, ce qui conduit inévitablement au repositionnement du leadership mondial dans le région d'Asie, décrite comme le centre du nouveau monde, une affirmation du rôle des événements et des crises, historique pour opérer une sorte de changement dans la forme et la nature du système international.

L'importance de la recherche vient de l'importance d'étudier les effets de la pandémie de Corona sur l'avenir du monde d'une part et de l'importance de l'étape historique au cours de laquelle l'émergence de cette épidémie a coïncidé avec des interactions mondiales et l'émergence de signes de changement dans la nature et la structure du système international, et l'augmentation des interactions et de la dépendance mutuelle entre les pays et les organisations internationales à tous les niveaux, qui sont des phénomènes générés par un ensemble d'événements internationaux, dont le premier n'est pas la série des événements du Golfe guerres, dont la dernière n'est pas le retrait américain d'Afghanistan.

L'étude comporte quatre axes principaux. Le premier axe se concentre sur la description du système international dans la période précédant l'étape de Corona et se concentre principalement sur l'impact de la pandémie de Corona sur le rôle de l'État et des acteurs importants qui ont contribué ou étaient censés contribuer à lutter contre l'épidémie dans une tentative faire une comparaison entre le rôle de ces acteurs dans la période pré-épidémique et la période qui a suivi et évalué cet effet. Dans le deuxième axe, nous essaierons d'analyser l'impact du virus Corona sur la nature de la relation entre l'Est et l'Ouest, en particulier la relation entre la Chine montante, qui représente l'Est, et les États-Unis d'Amérique, qui représentent la Ouest. Quant au troisième axe, nous présenterons

brièvement les fondements sur lesquels on peut s'appuyer pour expliquer les résultats de la concurrence américano-chinoise, qui sont des fondements qui ne changent pas avec le temps ou en raison des événements et qui se caractérisent par la continuité de l'influence et de la efficacité dans les politiques et stratégies des pays. Nous nous sommes concentrés sur les critères historiques et géopolitiques. Le quatrième et dernier axe traite des conséquences et des contextes du monde post-épidémie de Corona, et de l'impact de ce dernier sur l'avenir de la puissance asiatique, d'autant plus que toutes les attentes prédisent la transition du centre mondial du pouvoir de la région Europe de l'Ouest vers la région de l'Asie de l'Est, où la Chine apparaît comme le candidat le plus fort pour ce rôle.

Mots clés: Pandémie de Covid-19- Chine- Avenir de la puissance Chinoise- interactions mondiales- Concurrence.

المقدمة:

ظهر فيروس كورونا (Covid 19) أول مرة في مدينة ووهان الصينية في التاسع عشر من كانون الثاني عام 2019، وفي الحادي عشر من آذار عام 2020 أعلنت منظمة الصحة العالمية أن تفشي فيروس كورونا قد بلغ مستوى الجائحة[1].

أوجد التحدي الإنساني الجديد ضرورة أن يتم تخصيص جوانب مهمة لدراسة تفريعات آثار كوفيد 19 على مستقبل القوة الصينية في ظل وجود قوة عالمية مهيمنة ما تزال تتمتع بكل مقومات التفوق والسيطرة، في الوقت الذي ركزت فيه معظم الدراسات على الجوانب الشمولية لتفاعلات هذه الجائحة ولاسيما تداعياته على النظام الدولي ومستقبل هذا النظام. ونحن في هذه الدراسة سنحاول التركيز على مستقبل السيادة العالمية في منطقة محددة من العالم ونخص بالذكر هنا مستقبل القوة الصينية بالدرجة الأولى في النظام الدولي لفترة ما بعد وباء كورونا المُستجد، محاولين استشراف مستقبل هذه القوة في النظام الدولي من خلال مناقشة وتحليل مجموعة من المسارات المتوقعة لهذه القوة، من دون أن نهمل بطبيعة الحال الأسس التي يتم من خلالها استشراف مسارات المستقبل الصيني.

تأتي أهمية البحث ليس فقط من أهمية دراسة تأثيرات جائحة كورونا على مستقبل العالم فقط؛ لا بل من أهمية المرحلة التاريخية التي تزامن فيها ظهور هذا الوباء مع التداخلات العالمية وظهور بوادر تغير في طبيعة النظام الدولي وبنيته، وزيادة التفاعلات والاعتمادية المتبادلة بين الدول والمنظمات الدولية على كافة المستويات، وهي ظواهر ولدتها مجموعة من الأحداث الدولية ليس أولها سلسلة حروب الخليج ولا آخرها الانسحاب الأمريكي من أفغانستان. فهذه الأحداث زادت من الآثار المحتملة ومن عدم

[1] Pandémique, Pandemic الجائحة هي توصيف للأمراض المعدية عندما تصبح مرضًا متفشيًا على مستوى عالمي وينتقل من شخص إلى آخر في عدد من الدول في كافة أنحاء العالم في الوقت عينه. والجائحة عكس الوباء. فهذا الأخير يعني انتشار الفيروس في منطقة جغرافية معينة تشمل دولة واحدة أو عدد قليل من الدول ويبقى محصورًا فيها.

استقلالية هذه الآثار وحصرها في منطقة جغرافية محددة – في ظل عولمة لا حدود لها ولا ضوابط – وهي آثار أقل ما يمكن أن توصف به أنها عابرة للحدود وغير مُقيدة بشروط أو ضوابط.

ويهدف البحث إلى تتبع آثار كوفيد 19 على المستوى العالمي ودورها في تعزيز القوة الصينية وتنميتها في مقابل تراجع نظيرتها الأمريكية، وما يمكن أن يولده هذا الواقع الجديد الناتج عن جائحة كورونا من تطورات لا تشمل – ربما – منطقة جغرافية واحدة ولا قوة عالمية بعينها.

تركز الدراسة على إشكالية أساسية تتمثل في أن جائحة كوفيد– 19 قد أكدت على النظريات والتوقعات التي تُبشر بحدوث تغير في مستقبل النظام الدولي وعززت من فرضية إمكانية انتقال السيادة التي تقود حتمًا إلى إعادة تموضع القيادة العالمية في منطقة آسيا التي توصف بأنها مركز العالم الجديد، وهي إشكالية أكدت على دور الأحداث والأزمات التاريخية في إحداث نوع من التغيير في شكل النظام الدولي وطبيعته. فهل ستكون جائحة كورونا البيدق الذي سيُحاصر قلعة السيادة الأمريكية ويقضي على قيادتها للعالم لصالح نظيرتها الصينية، وهل يمتلك فعلًا القدرة على وضع حد للهيمنة الأمريكية على النظام الدولي؟ أم أن نتائجه لا تتعدى حاجز تقليص القوة الأمريكية وافساح المجال أمام ظهور قوة عالمية أخرى – آسيوية على وجه التحديد – تُشارك في رسم مستقبل النظام الدولي تمهيدًا لعودة العالم إلى مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية؟

يتكون المقال من أربع محاور رئيسة. في المحور الأول ستعمل على توصيف النظام الدولي في الفترة التي سبقت مرحلة كورونا والتركيز بشكل أساسي على تأثير جائحة كورونا على دور الدولة والفواعل المهمة التي ساهمت أو التي كان من المفترض أن تساهم في التصدي للوباء في محاولة لإجراء مقارنة بين دور هذه الفواعل في فترة ما قبل الوباء والفترة التي تلته وتقييم هذا التأثير. في المحور الثاني، سنحاول تحليل تأثير

فيروس كورونا على طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب[2] ولاسيما العلاقة بين الصين الصاعدة التي تُمثل الشرق والولايات المتحدة الأمريكية التي تُمثل الغرب. أما في المحور الثالث، فسنحاول أن نعرض بشكل مختصر الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في تفسير مآلات التنافس الأمريكي – الصيني وهي أسس لا تتغير بفعل الزمن ولا بسبب الأحداث، لا بل تتميز باستمرارية التأثير والفعالية في سياسات الدول واستراتيجياتها. وقد ركزنا بشكل رئيس على أساسين؛ تاريخي وجيو سياسي. أما المحور الرابع والأخير فيتناول من خلاله مآلات وسياقات عالم ما بعد مرحلة وباء كورونا، وتأثير هذا الأخير على مستقبل القوة الآسيوية خاصة أن كل التوقعات تتنبأ بانتقال مركز القوة العالمية من منطقة الغرب الأوربي إلى منطقة الشرق الآسيوي، حيث تبرز الصين كأقوى الدول المرشحة للقيام بهذا الدور.

أولًا: تأثير جائحة كورونا في دور الدولة – القومية والمنظمات الدولية:

شهد النظام الدولي في الفترة التي سبقت مرحلة وباء كورونا الكثير من التحديات والأحداث والتغيرات. ولأن تلك الأحداث كثيرة ومتعددة، فقد ارتأينا تناول تلك الأحداث والتغيرات التي خضعت للتحليلات والفرضيات كونها قابلة للتغير أكثر من غيرها أو على الأقل بدأ التغير يأخذ مجراه في كيانها ودورها.

1– الدولة ودورها:

بعد نهاية مرحلة الحرب الباردة 1991 ودخول العالم في مرحلة جديدة عنوانها سيطرة القطبية الأحادية (الأمريكية) بشر الكثيرون بتراجع دور الدولة في عصر العولمة أو الهيمنة الأمريكية، لا بل رأوا أنه بات من الضروري إعادة النظر في دورها الذي تراجع لحساب اطراف أخرى مثلتها المؤسسات الخاصة ومنظمات المجتمع الأهلي والمنظمات الإقليمية والدولية. إلا أن جائحة كورونا كان لها رأيٌ آخر عصف بتلك "الأمنيات" وقلب تلك المفاهيم وأعاد التأكيد على الدور الذي يمكن أن تمارسه الدولة بمؤسساتها وأدواتها

[2] التقسيم هنا على أساس جغرافي وليس سياسي.

الوطنية، وهو الأمر الذي اجبر الذين تحدثوا عن نهاية دور الدولة على تغيير نظرتهم وإعادة التأكيد على ضرورة إعادة تفعيل هذا الدور وتعزيزه. ومع ذلك، فإن فاعلية الدولة تعتمد على طبيعتها وشكلها؛ فالدول التي تتصف بأنها وطنية وتتمتع بحكومات شرعية ستخرج سليمة من الجائحة وفائزة في المواجهة، لا بل ستدفعها إرهاصات الوباء إلى تبني إصلاحات تجعلها أقوى وأكثر مرونة الأمر الذي يمكن أن يُسهّل أي عمل مستقبلي هدفه مواجهة أحداث متشابهة على عكس الدول الضعيفة – الاكثر عددًا – التي يُشك في وطنيتها وامتلاكها قيادات سلبية وعاجزة[3].

أثبت وباء كورونا أن الأزمات الكبرى بحاجة إلى دولة وطنية كونها الوحيدة القادرة على التعامل معها. فالدولة وحدها قادرة من دون غيرها على إيجاد شعور جماعي وتضامن شعبي موحد تحت سلطتها ومؤسساتها القوية. وقد أظهرت الجائحة بشكل واضح عجز المؤسسات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني وأنها مهما كان الدور الذي تقوم به لن يرتق إطلاقًا إلى مستوى ما تقوم به الدولة[4]. ومع ذلك، فقد أكد كوفيد – 19 حقيقتان لا يمكن تجاهلهما: تتمثل الأولى في أنه لا يمكن التراجع عن الانجازات والنتائج الكبيرة والمذهلة التي حققها العالم بفضل العولمة والانفتاح، والحقيقة الثانية أن الدولة لم تعد قادرة على العودة لما كانت عليه قبل سيطرة نظام العولمة والاعتمادية بين الدول. أكدت التجربة الصينية في مواجهة وباء كورونا ليس فقط أهمية دور الدولة القومية لا بل وضرورة أن يعاد للدولة دورها الأساسي على اعتبار أنها الضامن للأمن والاستقرار، وهي الوحيدة القادرة على إيجاد الحلول وتحمل المسؤوليات تجاه أي تحد ومن أي نوع. فالدولة القومية، عندما يتعلق الأمر بتحد قومي – عكس الجهات الأخرى– لا تسعى إلى تحقيق ربح مادي إنما تهدف إلى تحقيق أمن المواطن وحمايته وقت الأزمات. وقد تمكنت الدولة الصينية في وقت قصير من مواجهة الجائحة ووضع

[3] FUKUYAMA Francis, The Pandamic and Political Order it Takes a State, Foreign Affairs, July / August 2020. Web: https://www.foreignaffairs.com

[4] Ibid

الآليات والوسائل التي تحد من تهديده وربما وضع خطط لمواجهة أخطار مستقبليه مماثلة. ومع ذلك، يبدو من المبكر الحديث عن إعادة دور الدولة فهل ستجبر تداعيات فيروس كورونا الدول ولاسيما تلك التي تخلت عن الكثير من مهامها واختصاصاتها على إعادة النظر في سياستها واستعادة سيطرتها وسلطتها على الكثير من القضايا؛ في مجالات التعليم والصحة والأمن؟

كشف كوفيد 19 عن حقيقة دور الدولة وأنه لا يمكن لأي جهة أو مؤسسة أن تقوم به. فقد بدت في ظل الواقع الذي فرضه الوباء العالمي الحامي الذي يمكن اللجوء إليه عند الأزمات الكبرى، والضامن للأمن والاستقرار، وراعية المواطنين كون عملها بعيد عن الربح والاستثمار والرأسمالية.

2–دور المنظمات الدولية:

على الرغم من صعوبة التكهن بشكل النظام الدولي الجديد المتوقع، أو الوقت الذي يمكن الإشارة إليه حول سيطرة النظام الدولي الجديد، فإنه من المؤكد أن ملامح نظام دولي جديد بدأ بالتبلور لكن ليس بالصورة التي تعكس تراجع القوة العالمية الوحيدة المهيمنة أو انكفاءها. فالولايات المتحدة لن تتخلى عن هيمنتها أو سلطتها العالمية بالسهولة التي يتصورها البعض ولا بالسرعة التي يتوقعها البعض الآخر، فهي ما تزال تتمتع بالقوة التي تسمح لها بالسيطرة والهيمنة وقيادة العالم وهو ما أدركته أغلب الدول الكبرى منها والصاعدة على حد سواء وعلى رأسها الصين المنافس المحتمل لها. فالصين لا تسعى في الوقت الحالي إلى إرساء نظام دولي مختلف من دون الولايات المتحدة الأمريكية، بل جُل ما تسعى إليه يتمحور حول إرساء نظام حوكمة عالمي متوازن يمنحها هامش مناورة لممارسة دور عالمي أكثر فاعلية ولا يسمح في الوقت نفسه لواشنطن باحتكار صياغة قواعد النظام الدولي[5].

[5] ميشرا سيتاكانتا، النظام العالمي ما بعد الجائحة تسع مؤشرات، ترجمة ريهام صالح خفاجي، مكتبة الاسكندرية، 2021، ص 21

بدت المنظمات الدولية – التي كان يعول عليها كثيرًا من أجل تحقيق التضامن والأمن – عاجزة ماليًا ومشلولة إجرائيا وقانونيًا إذ بدت أخر اهتمامات الدول العظمى ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي ربما تقصدت تجاهلها وإبعادها عن ممارسة أي دور مهم يمكن أن يساهم بشكل أو بآخر في تعزيز تأثير دول أخرى؛ فتحجيم دور المنظمات الدولية هو بالنتيجة تحجيم لدور وطموح دول أخرى منافسة لها.

ظهرت تساؤلات كثيرة حول ما إذا كان يمكن للوباء التاجي الذي انتشر في كل العالم أن ينسف دور المنظمات الدولية التي تأسست في أعقاب الحرب العالمية الثانية[6] مفسحة المجال أما نشوء منظمات جديدة تهتم أكثر بإيجاد آليات وقوانين وأنظمة جديدة غايتها التكيف والتأقلم مع أي وضع مستجد أو طارئ يمكن أن يهدد الانسانية بيئيًا أو صحيًا أو غيره من الأحداث ذات التهديد العالمي الشامل[7].

شكلت إجراءات إغلاق الحدود مؤشرات على بداية تراجع العولمة وبداية تفكك ما يسمى الترابط الدولي. فتلك المؤشرات بدأت من خلال قيام بعض الدول بالابتعاد عن عملية الترابط أو التكامل الإقليمي كما هو حال بريطانية مع الاتحاد الأوربي. كما لجأت بعض الدول الأخرى إلى الانعزال في الداخل مختارة العزلة الطوعية "الحمائية" من خلال إغلاق الحدود من أجل منع انتشار الوباء على الرغم من أن السبب الحقيقي لتلك السياسات يتمثل في محاولة الحد من الهجرة التي شهدت موجات كبيرة خلال السنوات الماضية حملت أعداد كبيرة ومتنوعة من البشر الذي تخطوا الحدود للوصول إلى الدول الأوربية، وهو إجراء يندرج في سياق سياسات الدول من أجل ضمان أمنها القومي وحمايته.

[6] منظمة الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

[7] NOOTEN Carrie et BERNARD Philippe, L'ONU, symbole du désordre mondial, Le Monde, 29 Avril 2020- Mis à jour: 31 août 2021, Site: https://www.lemonde.fr/idees/article/2020/04/29/l-onu-symbole-du-desordre-mondial_6038075_3232.html

أصبح عالم الفيروس التاجي أقل انفتاحًا حيث تم إغلاق الحدود بين الدول، ولم يعد مسموحًا التنقل بين الحدود أو تخطيها إلا بضوابط وشروط صارمة، وتغيرت طبيعة المبادلات الاقتصادية وهو ما عبر عنه وليام ويدر الخبير الاقتصادي السابق في مؤسسة سيتي جروب حيث قال أن اقتصاد التو واللحظة سينتهي ليحل محله اقتصاد حالة بحالة مع وجود سلاسل إمداد متعددة لضمان الاستمرارية طوال فترة وجود الوباء وانتشاره[8]. بينما خالفه كيشور محبوباتي الباحث في معهد آسيا للبحوث في جامعة سنغافورة الوطنية الذي أكد على أن " جائحة كورونا لن تؤثر على الاتجاهات الاقتصادية، لكنها ستعمل على تسريع تغير كان قد بدأ بالفعل وهو الانتقال من العولمة التي تتمحور حول الولايات المتحدة إلى عولمة تتمحور حول الصين[9]".

إن النظام الدولي الجديد الذي تسعى إليه الصين يجب أن يرتكز على أسس محددة وواضحة– نفس الأسس التي عكستها سياسة الصين منذ مؤتمر باندونغ عام 1955– وهي: منع التدخل الخارجي في شؤونها الداخلية وفي أراضيها، وعدم فرض قوة بعينها لهيمنتها على مناطق ودول أخرى، والعمل على تعزيز قوتها وذلك من خلال الوصول إلى أي مكان في العالم معتمدة على القدرات اللازمة التي تسمح لها بأن تصبح فاعلًا دوليًا[10]. مما لا شك فيه ان تلك الأسس تعكس بشكل واضح أن الصين ما تزال تُدرك أنها لم تصل بعد إلى المستوى الذي يؤهلها للدخول في منافسة سياسية حقيقية مع

[8] قدمها البروفيسور Stephen Walt الأستاذ في جامعة هارفرد الامريكية في محاضرة Zoom ألقاها في معهد الشؤون الأوربية والدولية في إيرلندا في 14 تشرين الأول 2021. حول ذلك ينظر:

WALT Stephen, The Global Order after Covid 19, 14 October 2021, Brave New World. Website: https://www.youtube.com/watch?v=1dpFZdiSnuQ

[9] هكذا يبدو العالم بعد كورونا.. نهاية النفوذ الأمريكي وصعود الصين، موقع الجزيرة نت، 21 / 3 / 2020. على الرابط: aljazeera.net/news/politics. منقول عن مجلة فورن بوليسي.

[10] بدأت الصين تنفيذ استراتيجية النفوذ الاستراتيجي من خلال إنشاء جزر صناعية ووصلات بحرية وإقامة تحالفات وإنشاء مؤسسات متعددة الأطراف كمنظمة شانغهاى والبنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية ومبادرة الحزام والطريق. ميشرا، مرجع سابق، ص 23

الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي قيادة العالم. فجل ما تسعى إليه الصين هو حماية أمنها القومي المعتمد أساسًا على الأمن الاجتماعي الداخلي والأمن الإقليمي.

ثانيًا: تأثير جائحة كورونا على العلاقات بين الشرق والغرب

لم يكن للوباء الفيروسي المجهري تأثير إيجابي كبير على تعاون القوى الكبرى، وهو هدف يبقى صعب التحقيق وبعيد عن متناول اليد. فالإدارة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي السابق ترامب رفضت دعوة بكين للاستجابة المشتركة وتعزيز التعاون من أجل مكافحة وباء كوفيد- 19، لا بل أن الولايات المتحدة الأمريكية عملت عكس ذلك حيث قامت بإجراءات تُشير إلى تصميم الإدارة الأمريكية واستمرارها في خيار المواجهة والتنافس مع حكومة الصين الشعبية منها تشكيل حلف ضد الصين وزيادة الوجود العسكري في بحر الصين الجنوبي والاقتراب من الصين الوطنية[11] وتكثيف التدخل في الحكم الصيني لهونغ كونغ من خلال سن قانون حماية الامن القومي لهونغ كونغ الإقليم الذي يتمتع بالحكم الإداري الخاص Safeguarding National Security in the Hong Kong[12]. ويهدف القانون إلى تحسين النظام القانوني لمنطقة هونغ كونغ وسن آليات الإنقاذ لحماية الامن القومي في منطقة هونغ كونغ الإدارية الخاصة، إذ تسعى الصين من خلال هذا القانون إلى حماية سياسة دولة واحدة ونظامان وحماية الأمن القومي ومنع وقمع جرائم

[11] YANG Jiemian, "Major Power Relations in Post- Pandemic World Orders", China Quarterly of International Strategic Studies, Vol 6, N° 1, 2020, p. 6

[12] في الثلاثين من حزيران 2020 أضافت الصين قانون الأمن القومي إلى القانون الأساسي الحاكم لوضع هزنغ كونغ الخاص بهدف منع التدخلات الخارجية في هونغ كونغ ومنع التمويل الأجنبي للمنظمات الطلابية المعارضة والمرتبطة بالولايات المتحدة الأمريكية، ونزع اليد الأمريكية من الخاصرة الصينية. على الرغم من تأخر الخطوة الصينية لثلاث وعشرين عامًا إلا أنها خطوة مهمة تساهم بشكل كبير في تراجع الهيمنة الأمريكية وبداية تقليص الأوراق التي يمكن أن تستخدمها واشنطن في مواجهتها وتنافسها مع بكين. علان عمرو: "أمريكا والصين: هل من حرب باردة جديدة؟" مجلة المستقبل العربي، العدد 501، تشرين الثاني 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2020، ص 163

الانفصال والتخريب والتواطؤ مع دولة اجنبية أو مع عناصر أجنبية تعرض الأمن القومي للخطر[13].

أظهرت فترة الوباء وأكدت على وجود قصور في كيفية الحكم على النظام السياسي القائم والحكم على الإجراءات التي قام ويقوم بها من أجل مواجهة الوباء من حيث نجاحه وفشله، وهو بذلك ينظم إلى إشكالية قدرة مثل هذه الدول على تحقيق التطور الاقتصادي. فكما نجحت عدد من الدول التي توصف بأنها "دكتاتورية" في تحقيق نهوض اقتصادي مذهل واستثنائي فقد نجحت هذه الدول – الصين أوضح مثال– في مواجهة الوباء وحققت نتائج ربما فاقت تلك النتائج التي حققتها دول متقدمة كالولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة وغيرها. فالاندفاع الغربي نحو الصين لسد النقص في المعدات الطبية اللازمة لمكافحة الوباء والانتصار في الحرب عليه لم يكن سوى وسيلة لتلك الدول في تغطية عجزها أمام مواطنيها وحتى لا تفقد هيبتها أمام الدول الأخرى الأقل شأنًا. وقد فعلت ذلك فرنسا التي تعد القوة الصناعية السابعة في العالم إذ خططت لمد جسر جوي مع الدولة الشيوعية "الديكتاتورية" ذات نظام الحكم الشمولي وحكم الحزب الواحد لعدة أسابيع من أجل سد العجز الحاصل في المعدات والمستلزمات والأقنعة الطبية التي عاشتها المستشفيات الفرنسية[14].

فعلى خلفية النجاحات التي حققتها الصين في مواجهة فيروس كورونا، استغل قادة الصين هذا النجاح للحديث عن سحر وفاعلية نظام حكمهم والترويج لتفوقه وفاعليته، في

[13] RAMZY Austin, With Lengthy Sentence, Hong Kong Uses Security Law to Clamp Down on Speech, The New York Times, 11 November 2021. Web site: https://www.nytimes.com/article/hong-kong-security-law-speech.html

[14] MACHROUH Jamal, « Corona virus, Risque Global et Ordre Mondial", Policy Brief, Policy center for the New South, April 2020, pp. 20 – 28.

الوقت الذي عمدوا فيه إلى تشويه سمعة الولايات المتحدة الأمريكية وإجراءاتها واستهزائهم من طريقة استجابتهم للجائحة[15].

كثيرون تنبئوا أن جائحة كورونا لم تكرس فرضية توجه القوة نحو الشرق بل أكدوا أن القوة بدأت بالفعل بالتوطن في الشرق وأن كوفيد 19 قد سَرّع من عملية انتقال القوة نحو الشرق الآسيوي – الصين على وجه التحديد الذي يرتبط " بمشاهدات الأفراد في كل العالم لكيفية إدارة الأزمة في الصين، وكيفية الإدارة الغربية لها. لقد أظهرت منظومة الديمقراطية الغربية عجزًا في حماية الأرواح وأظهرت أيضًا على نحو غير مسبوق تغليب الاقتصاد على حماية حياة الناس. إن الصين من خلال ثقافتها الكونفوشيوسية التي لا تُغلّب الفرد على المجتمع أظهرت نجاعتها في محاصرة الأزمة، وأشعرت العالم بأنها قادرة على تقديم الدعم والمساعدة وتشكيل نموذج لدولة رعابة[16]".

فدول شرق آسيا أظهرت أداءً أفضل وأقوى في إدارة الوضع خلال فترة كورونا مقارنة بكثير من الدول الغربية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية التي ربما نال تعاملها مع الوباء من هيبتها. إلا أن ذلك لا يعطي حكمًا قاطعًا على النجاح الصيني الكامل وفشل الدولة الأمريكية؛ فالدول الديمقراطية والرأسمالية التي تتمتع بقاعدة مؤسساتية واقتصادية مرنة ومنها الولايات المتحدة الأمريكية بطبيعة الحال لا تمتلك فقط القدرة على التحول والتكيف مع الأحداث العالمية المؤثرة لا بل الإرادة أيضًا من خلال العمل على سن القوانين والتشريعات التي تتناسب مع الحالات المستجدة ومنها حالة التهديد العالمية التي مثلتها جائحة كورونا.

---

[15] SCHUMAN Michael, What Happens When China Leads the World, The Atlantic, 5 October 2020. Website:
https://www.theatlantic.com/international/archive/2020/10/what-kind-superpower-will-china-be/616580/

[16] أبو حسنة نافذ، "كورونا والنظام الدولي"، مجلة المستقبل العربي، العدد 499، أيلول 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 147.

ربما أكثر الأمور التي أوضحها وباء كورونا هو إظهار التنافس العلمي بين الدول والصراع فيما بينهما كل من أجل حماية أبحاثها الخاصة (الوطنية) وبالتالي تحقيق السبق في انتاج العلاج المناسب الذي سيفرض على الدول الأخرى شرائه لحماية نفسها من الجائحة وهو ما يؤمن لهذه الدول تحقيق نوع من تبعية دول أخرى لها. ففترة فيروس كورونا تمثل بداية مرحلة جديدة من التنافس العلمي ذو الصبغة العسكرية الذي يعكسه اختراع سلسلة جديدة من الأسلحة الوراثية التي يمكن استخدامها بشكل واسع. وقد أشارت وسائل إعلام استرالية في شهر أيار 2021 إلى وجود وثيقة حكومية صينية مسربة تكشف عن نقاش دار بين كبار العلماء العسكريين الصينيين في عام 2015 حول إمكانية استخدام الأسلحة البيولوجية بما فيها فيروسات كورونا من خلال إطلاقها بطريقة غير مسبوقة[17]. فهل يرتقي البحث العلمي إلى المستوى الأول في أولويات سياسات الدول ويصبح أحد أهم محاور استراتيجية المنافسة في مرحلة ما بعد COVID- 19؟

في الجانب الآخر لم يكن السبق العلمي هو معيار الفوز في التنافس؛ فالإصطفافات السياسية وتشابه الأنظمة الاقتصادية والتحالفات التاريخية ربما كان لها دور مهم في تحقيق الفوز العلمي أو في الترويج للقاح المضاد. فالصين وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا اخترعت كل دولة لقاحها الخاص، وعلى الرغم من محاولة روسيا والصين الترويج للقاح الخاص بها من خلال توزيعه على عدد من الدول مجانًا إلا أن اللقاح الأمريكي – الألماني أكثر رواجًا وأكثر قبولًا من نظيره الروسي والصيني حتى عند أولئك الذي يعلنون ليل نهار عدم رضاهم عن السياسة الأمريكية ومعارضتهم للإجراءات الامريكية غير الإنسانية أو غير الديمقراطية. فالأمر إذا لا يتعلق بحقيقة النجاح العلمي، لا بل بواقع سياسي يفرض واقع علمي أقل ما يمكن أن يوصف به أنه استقطاب من نوع جديد يمكن أن نطلق عليه "استقطاب علمي". ومع ذلك لم يكن الواقع العلمي ليختلف

[17] تصاعد حدة الخلاف والتهديد بين أمريكا والصين حول نشأة فيروس كورونا، سبوتنك عربي، 21 / 6 / 2021. على الرابط: arabicsputniknews.com/world/

كثيرًا عن واقع العلاقات السياسية، فعلى الرغم من وجود نوايا ومساعي للتعاون إلا أن كثير من الدول كانت تسعى إلى مواجهة الوباء بمفردها؛ فالصين التي تسعى للابتعاد في سياستها عن الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق المكاسب تعود لتتقارب معها في مواضيع وقضايا أخرى كثيرة، وكذلك الأمر ينطبق على روسيا التي تعلن ليل نهار معارضتها للولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث انضمت إلى جانب الهند والولايات المتحدة الأمريكية في دعم الأبحاث التي يجريها الاتحاد الأوربي لإنتاج اللقاح. فهذا التقارب العلمي يمكن أن يوصف بأنه خطوة من الصين وروسيا من أجل البقاء قريبًا وعلى مسافة تمكنها من العودة سريعًا إلى الجهود الدولية في مكافحة الوباء. فهل ستفتح مواجهة الوباء أبوابًا واسعة أمام منافسة علمية جديدة تفرض على الدول استراتيجيات وإجراءات مختلفة بعد انتهاء الجائحة عما كانت عليه قبله؟ أم أن المجال العلمي سيكون مُلحَقًا بالسياسي والاقتصادي ليصبح مجالًا جديدًا للتنافس يضاف إلى مجالات التنافس الأخرى. كثيرًا ما يتم الحديث عن أن وباء كورونا يماثل في تداعياته ما أفرزته الحرب العالمية الثانية. إلا أن السؤال يتمحور حول قدرة الوباء في إحداث تغيرات عميقة في طبيعة وشكل النظام الدولي. لذلك تبرز الكثير من التحليلات والأبحاث تتحدث عن أن التنافس سيكون بشكل أساس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في ظل تآكل دور واشنطن على المستوى العالمي الأمر الذي دفعها إلى توجيه حربها نحو منظمة الصحة العالمية بحجة أنها تميل أكثر إلى الصين وتساندها بشكل أكبر[18] وهو من دون شك سيكون وجهًا آخر للصراع في المستقبل بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية.

[18] بوبوش محمد، " تداعيات أزمة كورونا على مستقبل قضايا النظام الدولي"، مجلة حمورابي، العدد 33 – 34، السنة الثامنة، شتاء – ربيع 2020، ص 60

لعل أكثر ما يمكن أن يسبب عودة العالم إلى حقبة الحرب الباردة من جديد هو زيادة المنافسة الاستراتيجية بين واشنطن وبكين، وانعدام الثقة المتبادلة وتداعياتها في أن تصبح منافسة شاملة غير مسبوقة في الامتداد الجغرافي والاقتصادي والسياسي. للمفارقة فإن هذا هو عكس ما يجب أن يفرضه أو ما يجب أن يكون عليه الحال في التعامل مع وباء كورونا الذي فضح حقيقة التضامن الدولي الذي أقل ما يمكن أن يوصف به أنه تضامن عالمي هش غير قادر على الصمود امام أي أزمة عالمية مهما كان حجمها. كما أظهر الوباء حقيقة أخرى تمثلت في أن الهم الأساس لكل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية يتمثل في التفكير في كيفية تحقيق نتائج سياسية واقتصادية وعسكرية وتكنولوجية. لذلك يراهن الكثيرون على أن القوى الكبرى ما تزال لديها القدرة على التفكير بصورة شاملة والتصرف والتحرك معًا مع الاتجاهات الشاملة للسلام والتنمية والتعاون المثمر والمفيد للطرفين. فهل ستتمكن كل من الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشيوعية من إيجاد طريقة لترجمة المنافسة الاستراتيجية لتصبح تعاونًا مثمرًا مع أطراف وأعضاء آخرين في المجتمع الدولي في مرحلة ما بعد جائحة كورونا[19].

إن عجز مجلس الأمن الدولي بكباره الخمس لم يكن على حد تعبير أحد الدبلوماسيين الفرنسيين سوى مظهر من مظاهر إضعاف التعددية والعمل سويًا على أساس قواعد محددة بشكل مشترك. ويشير Serge Sur الاستاذ الفخري للقانون العام بجامعة بانثيون إلى أن أزمة كوفيد 19 تقوم بدور العدسة المكبرة للعقبات القديمة. ولكي تنجح التعددية يحتاج العالم إلى قوى رائدة ذات رؤية للعلاقات الدولية. كما عكست تلك الأزمة عن حقيقة أن القوى التقليدية لم تعد موجودة؛ فالولايات المتحدة الأمريكية لم تعد تمتلك رؤية بينما الصين ترى أن التعددية لم تعد أكثر من أداة لتحقيق الهيمنة التي تسعى إلى تحقيقها[20].

[19] YANG Jiemian, op, cit, p. 17- 18
[20] NOOTEN, op, cit

ثالثًا: الأسس التي يتم على أساسها تفسير مستقبل الصين في النظام الدولي:

عند تفسير ظاهرة نمو الصين واستشراف مستقبلها في النظام الدولي لفترة ما بعد جائحة كورونا، وعلاقتها سواء مع الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية مهيمنة أو مع القوى الكبرى الأخرى أو حتى مع القوى الصاعدة، لا بد من مجموعة من المعطيات يستند إليها الباحثون والعلماء في الوصول إلى نتائج منطقية أو أقرب إلى الحقيقة؛ فالمؤرخون يعتمدون على التاريخ ومعطياته وأحداثه، بينما يلجأ علماء العلاقات الدولية إلى أدواتهم الجغرافية والجيو سياسية.

فالتاريخ هو أول الأسس التي يُعتمد عليه في تفسير المسارات المتوقعة التي تتعلق بمكانة الصين ومستقبلها في النظام العالمي المفترض. فالتاريخ وسيلة مهمة وحاسمة في تفسير وفهم الأحداث وتقديم تصور شامل للمسارات المستقبلية. فتاريخ السلالات الحاكمة في الصين الإمبراطورية وسياساتها وممارساتها الخارجية يمكن أن تكون عامل مساعد في تقديم رؤية واضحة للطريقة التي تستخدم فيها القيادة الصينية سلطتها وقوتها التي لا تتوقف عن التوسع والتمدد. فالصين الإمبراطورية كانت تتجنب استخدام القوة مستعيضة عن ذلك بتفوقها الحضاري وسموها الفكري كخيار لها في تعاملها مع الآخرين ولا سيما مع دول شرق آسيا وهو ما دأب رؤساء الصين الحديثة على ذكره في خطاباتهم مؤكدين أن بلادهم ملتزمة بالتنمية السلمية[21]. لكن التاريخ نفسه يعود ليقدم لنا دلائل وشواهد تدحض وتناقض ما يدعيه القادة في الصين؛ فسلالة تشينغ سيطرت على مساحات واسعة، إذ وصلت الرقعة الجغرافية التي تسيطر عليها اتساعًا استثنائيًا لم تحققه الصين قديمًا أو حديثًا[22]. ويفسر لنا التاريخ الصيني أيضًا أن العنف أو التوسع الذي انتهجته وتنتهجه الصين لم يكن إلا ردة فعل على أخطار خارجية تهدد الصين نفسها وتفوقها الحضاري في مناطق متعددة: الحملات العسكرية التي قام بها الأدميرال الصيني تشنغ

[21] SCHUMAN, op, cit

[22] BÉGUIN G., La cité interdite des fils du ciel, Paris, Gallimard, 1996, pp. 59- 60.

خه المعروف بحجي شمس على سومطرة لحماية الملك التابع للصين ضد منافسه[23]، ومساعدة أسرة مينغ للكوريين ضد حملة يابانية عام 1592 حيث تمكنت القوات الصينية من وقف التقدم الياباني في الشمال الكوري قبل أن تنسحب من الجزيرة التابعة للصين في عام 1598[24].

يشرح التاريخ أن أكثر الدول التي يمكن أن تتأثر برد فعل الصين على التحدي الذي تواجهه هي الدول التي تقع ضمن نطاق الصين الجغرافي أي في منطقة جنوب شرق آسيا. ولا يتوان الجيل الجديد من القادة الصينيين من الإشارة المبطنة بشكل شبه دائم أنهم لن يترددوا بالاستعانة بسياسات وممارسات النظام الإمبراطوري من أجل توسيع سلطتهم ونشر هيبتهم. فالإغراءات والضغوط الاقتصادية حاضرة في الأجندة الصينية للتعامل مع كل ما يهدد قوتهم ومستقبلها: منعت الصين الواردات من كندا وأسترالية على خلفية الخلافات الدبلوماسية الأخيرة، استهداف الشركات الكورية الجنوبية العاملة في الصين بسبب موافقة كورية الجنوبية على نشر نظام دفاع صاروخي أمريكي نظر إليه الصينيون على انه تهديد لأمنهم القومي[25].

وثاني تلك الأسس هي التي يعتمدها علماء العلاقات الدولية المتمثلة بالميزات الجيو –سياسية والموقع الجغرافي الذي يساهم إلى حد كبير في رسم الخطوط والملامح العامة لما يمكن أن تكون عليه الصين في القرن الحادي والعشرين. وأغلب من اعتمد هذه الوسائل في التنبؤ بمكانة الصين هو الأمريكي جورج فريدمان الذي يعتقد أن التاريخ والموقع الجغرافي والميزات الجيو سياسية التي يتمتع بها أي بلد تفسر إلى حد كبير

[23] حول ذلك ورحلاته السبع، يمكن العودة إلى: جمال إيثار، ليس عنصريًا مثل كولومبس، تعرف إلى البحار الصيني المسلم الذي سبقه بـ 100 عام، ساسة بوست، تشرين الثاني 2018. على الرابط:
https://www.sasapost.com/the-chinese-sailor-who-discovered-the-world-before-columbus/

[24] رايشاور، أدوين، اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 136، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نيسان 1989، ص 89، 313

[25] SCHUMAN, op, cit

الأسباب التي تحول دون تفوق الصين على الولايات المتحدة الأمريكية؛ لا بل ويذهب إلى حد القول إلى أن الصين ليست الخطر الذي يهدد مكانة بلاده إنما دول أخرى مثل تركيا واليابان. لكن لماذا ليست الصين؟ يسوق فريدمان ثلاثة أسباب لذلك. أولها أن الصين بلد معزول في حقيقته الجغرافية ويدلل على ذلك بأن المساحة الجغرافية الواسعة وغالبية السكان يستقرون في القسم الداخلي من الصين وهم ما يمنعها من التمدد نحو الخارج. والسبب الثاني افتقار الصين عبر تاريخها الطويل إلى قوة بحرية مهمة ومؤثرة، ولن تكون لها على المدى المتوسط تلك القوة لما يتطلبه ذلك من فترة زمنية طويلة جدًا لبناء الأسطول من جهة وأن يكون لها الخبرة والعلم والمهارة الكافية من جهة أخرى. أما السبب الثالث فيرتبط إلى حد كبير بالسبب الأول. فالاختلاف الكبير في مستوى التطور بين ساحل الصين المتطور والمزدهر بفضل الانفتاح على الغرب والاتصال به منذ وقت مبكر وبين الداخل الفقير وهو عامل يجعل فتيل عدم الاستقرار منزوعًا بشكل دائم وقابلًا للانفجار في أي لحظة[26].

الأمريكيون، مؤرخون ومهتمون وعلماء علاقات دولية يجهدون في إيجاد التفسيرات والأسس التي يعتمدونها في استشراف القوة الصينية وعلاقة ذلك في فرضية أن تنتقل القوة من الغرب إلى الشرق، وأن ينتقل النظام الدولي من الهيمنة الأمريكية الغربية إلى الهيمنة الصينية الشرقية. هل يعتمد ذلك على ما تقوم به السياسة الصينية والآليات التي تعتمدها، أم يعتمد على سياسة الولايات المتحدة الامريكية التي تتعرض للنقد من قبل الأمريكيين أنفسهم الذين غالبًا ما يصفونها بأنها سياسة خاطئة من دولتهم التي لا تتوقف عن إشعار العالم بأنها الدولة المهيمنة والقادرة على تنفيذ الأجندات التي ترى أنها مناسبة وتخدم مصالحها من دون النظر إلى نتائج تلك السياسة على الدول الأخرى، واضطرار

[26] فريدمان جورج، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة منذر محمود محمد، دار الفرقد، دمشق 2019، ص 20، 22

غالبية الدول على الرضوخ بسبب ضعفها من جهة وقوة الولايات المتحدة الأمريكية والأدوات التي تمتلكها من أجل فرض سياستها من جهة أخرى.

سيكون لتداعيات وباء كورونا نتائج عميقة على الصين والولايات المتحدة الأمريكية أكثر من غيرهما من الدول لعدة أسباب. السبب الأول يتمثل في ظهور فرصة للصين لتثبت للعالم أنه يمكنها قيادة العالم، إلا أن ظروفها لم تصل بعد إلى الحد الذي يجعلها تعلن عن ذلك. فالدعم والمساعدة التي قدمتها الصين لكثير من دول العالم لمواجهة الوباء أظهرها بمظهر القوة الدولية المسئولة القادرة على قيادة الجهود الدولية لمواجهة الأزمات الخطيرة التي يمكن أن تواجهها أو تلك التي يمكن أن تتعرض لها في المستقبل مستغلة تراجع الدعم الأمريكي الذي فُسر على أنه بداية الانسحاب الأمريكي من كثير من مناطق العالم[27].

استطاعت الصين أن تستغل جائحة كورونا من أجل أن تُظهر قدرتها في ادارة السيطرة على الوباء، مستغلة ما تمتلكه من إمكانيات صناعية وعلمية وتقنية، وهو ما انعكس بشكل إيجابي على صورتها في المجتمع الدولي على اعتبار أنها قوة عالمية صاعدة. كما انعكس ذلك على طبيعة تفكير المهتمين والمفكرين بمستقبل الصين في فترة ما بعد الوباء. فهؤلاء توقعوا عالم دولي مختلف بعد زوال جائحة كورونا يختلف عما قبله. فعلى الرغم من صعوبة تحديد طبيعة هذا العالم لعدم وجود بوادر واضحة ومعالم محددة له، فإنهم يعتقدون أن أي تغيير يمكن أن يحدث ستكون الصين فرس الرهان في هذا التغيير وذلك استنادًا على القوة التي وصلت إليها قبل مرحلة كورونا، والجهود

[27] التعاون الصيني – الاوربي في مكافحة الوباء يمهد الطريق للانتعاش الاقتصادي، Arabic. News.cn، 8/ 9 /2020. على الرابط: http://arabic.news.cn/2020-09/08/c_139352067.htm . نقلًا عن وكالة شينخوا الصينية في أيلول 2020.

والنجاحات التي حققتها خلال مرحلة الوباء سواء في الداخل أو تطور علاقاتها مع الأخرين[28].

إن إعادة توجيه التنافس الصيني مع الولايات المتحدة الأمريكية باتجاه مسارين سيضعفان الصين ويقللان من إمكانية تحقيق الهيمنة الصينية وفرصها. المسار الأول هو استمرار التوجه الامريكي شرقًا بحيث تجد الصين نفسها مجبرة على تجميد قوتها واستنزافها في منطقة جغرافية محددة[29]. أما المسار الثاني هو محاربة الصين من خلال الأبحاث العلمية واللقاحات، ومن خلال المنظمات الدولية[30] وهو ما ظهر بالفعل عندما أقدمت واشنطن على تجميد مساعدتها لمنظمة الصحة العالمية بحجة انحيازها للصين والهدف واضح إضعاف دور المؤسسات الدولية التي تمارس فيها الصين دورًا متزايدًا فاعلًا على المستوى الدولي. وقد وصف الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب منظمة الصحة العالمية بأنها عبارة عن دمية بيد الصين مشيرًا إلى أنها منحازة بشكل فاضح للصين في إشارة منه لنتائج تقرير خبرائها حول منشأ الفيروس على الرغم من التمويل والدعم الكبير الذي تتلقاه من واشنطن[31].

ومع ذلك، فإنه على الرغم من الانتقادات التي وجهت لدور منظمة الصحة العالمية ودخولها نطاق التنافس الأمريكي – الصيني، إلا أن دورها وجهودها في مواجهة وباء كورونا لا يمكن تجاهله أو التقليل من أهميته. فإذا كانت كثير من الدول الكبرى أو الغنية قادرة على مواجهة أزمات كبيرة بجهودها وامكانياتها، فإن كثير من الدول ما تزال عاجزة عن مواجهة الجائحة بمفردها. لذلك كان دور منظمة الصحة العالمية واضحًا

[28] صديق محمد، "تصاعد دور الصين كنموذج لاحتواء كورونا"، مجلة شؤون عربية، العدد 182، 17 يونيو 2020. على الرابط: https://arabaffairsonline.com

[29] كأن التاريخ يعيد نفسه، فهل تجد الصين نفسها في عزلة جديدة تشبه العزلة التي اختارتها قبل حروب الأفيون، إلا أنها هذه المرة عزلة إقليمية؟

[30] حول المشاكل التي أحدثها وباء كوفيد 19 في دور المنظمات الدولية، يمكن العودة إلى: NOOTEN, op, cit

[31] انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من منظمة الصحة العالمية يستنزف مواردها الضئيلة، France 24، 23 / 5 / 2020. على الرابط: france24.com/ar/20200530/

وحاسمًا في أحيان كثيرة من حيث تقديم المساعدات والمعونات والاستشارات التي ساعدت هذه الدول على تجاوز جوانب القصور في نظامها الصحي وتعزيز قدرتها في مواجهة الوباء وتداعياته[32].

فالخلافات بدأت على خلفية اتهامات متبادلة بين واشنطن وبكين إذ اتهمت الأولى الأخيرة بأنها أصل الفيروس ومنشأه[33] في إشارة إلى تحميلها المسؤولية عن انتشار الوباء العالمي. وتطورت الاتهامات إلى حد هددت الولايات المتحدة الأمريكية الصين بمواجهة عزلة من المجتمع الدولي في حال ثبتت مزاعمها أو رفضت التعاون الدولي. في المقابل، ردت الصين على تلك الاتهامات بوسيلتين: الأولى عندما سمحت لخبراء من منظمة الصحة العالمية بمعاينة الواقع الذي تعاني منه هي نفسها[34]. أما الوسيلة الثانية فكان ردًا سياسيًا حيث أشارت على لسان أحد دبلوماسييها الذي اتهم واشنطن بممارسة ترهيب متعمد والعمل على تسييس عمل منظمة الصحة العالمية بشكل تعسفي وفاضح[35].

أظهر استطلاع للرأي أجرته مجلة Le Monde الفرنسية الشهيرة خلال شهري أذار ونيسان من عام 2020 نتائج مهمة خلفها فيروس كورونا؛ صعود الصين الذي أدى إلى زعزعة استقرار النظام الصحي العالمي، وكيف أن تأخر منظمة الصحة العالمية في

---

[32] هيكل، مرجع سابق، ص 25

[33] اعتمد الكثيرون في تفسير نجاح الصين في التعاومل مع الجائحة على هذه الفرضية. فنجاح الصين في إدارة الأزمة والتعامل معها بشكل مثالي وفشل الغرب يعود إلى أن الصين كانت على علم مسبق بظهور الفيروس، لذلك أعدت نفسها بشكل مسبق لمكافحة الجائحة، في الوقت الذي وجد فيه الغرب بشكل مفاجئ أمام وباء ينتشر بسرعة فائقة الأمر الذي جعله غير قادر على معالجة الجائحة والتجاوب معها بشكل سريع.

[34] كانت منظمة الصحة العالمية قد أرسلت لجنة تقصي الحقائق إلى مدينة ووهان الصينية أول بؤرة لانطلاق الفيروس التاجي. مهمة فريق منظمة الصحة العالمية التحقق من منشأ كوفيد – 19 حيث عمل الخبراء على فحص المختبر والمستشفيات والأسواق في محاولة منهم الحصول على أدلة عن أصل الفيروس. يُذكر أن الفيروس التاجي ظهر أول مرة في العالم في ووهان في نهاية عام 2019. تتكون البعثة الدولية من 10 علماء من الدنمارك وبريطانية وهولندا وأستراليا وروسيا وفيتنام وألمانيا وقطر واليابان والولايات المتحدة الأمريكية. للمزيد، يمكن العودة إلى: فريق من الصحة العالمية يصل ووهان لتحري منشأ كورونا، DW، 14 – 1 – 2021. على الرابط: https://www.dw.com/ar

[35] تصاعد حدة الخلاف والتهديد بين أمريكا والصين حول نشأة فيروس كورونا، سبوتنك عربي، 21 / 6 / 2021. على الرابط: arabicsputniknews.com/world/

إعلانها للمجتمع الدولي من خطر تحول الفيروس إلى جائحة عالمية قد أظهر بشكل واضح التأثير الذي تمارسه الصين على منظمة الصحة العالمية والروابط الخطيرة بينهما. كما أظهرت محاربة الفيروس المدى الذي وصل إليه التنافس بين القوتين الأمريكية والصينية وأهميته في سياسة كل منهما؛ فالقوتان اللتان تبادلتا الاتهامات بشأن أصل الفيروس ومنشأه كرستا طاقة أكبر لمواجهة بعضهما البعض بدلًا من الإدارة الجيدة للأزمة الصحية التي يعاني منها مواطنيهم وإيجاد الحلول واعتماد الإجراءات المناسبة لمواجهته[36].

كيف تُفسر الاتهامات الأمريكية؟ يمكن تقديم تفسيرين لذلك. الأول أنها جاءت ردًا على النجاحات الصينية في مواجهة كورونا والتأثير الذي تركته في العالم من خلال المساعدات التي قدمتها. أما التفسير الثاني فيشير إلى أن توزيع الاتهامات بتلك الطريقة يهدف ربما إلى التغطية على القصور الذي عانت منه الإدارة الأمريكية وبشكل خاص إدارة المنظومة الصحية، والتذمر والامتعاض الكبيرين من قبل الدول الأوربية تجاه تجاهل الأمريكيين للمطالب الأوربية ومعاناتهم مع المرض في ظل الفشل في التعامل بشكل جماعي مع الجائحة من خلال مؤسسات الاتحاد الاوربي.

بالمقابل، وصفت ردود فعل الاتحاد الأوربي في التعامل مع جائحة كورونا بأنها فردية وانعزالية عبرت عن هشاشة وشرذمة في مواجهة أكبر تحد واجهته المنظومة الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية. فالاتحاد الأوربي يعكس "نموذجًا فاشلًا يصعب تجاوزه في المدى القريب والمتوسط في تصديه لأزمة لا تعد ذات طابع استراتيجي تقليدي[37]".

تتمثل المهمة الأساسية للمجتمع الدولي في احتواء وباء كورونا وإعادة انتعاش الاقتصاد العالمي بسرعة. لذلك يجب الانتقال إلى قواعد وقواسم جديدة تدفع الجميع إلى

[36] Après la pandémie liée au coronavirus: un ordre mondial à réinventer, Le Monde, 30 avril 2020. Site : https://www.lemonde.fr

[37] بوبوش، مرجع سابق، ص 49.

التعاون وتحقيق استجابة عالمية غير مسبوقة من خلال الاعتماد على معطيات ربما مختلفة عن تلك التي كانت في مواجهة أزمات سابقة: العلم والحقائق والتضامن تحت قيادة جماعية وليس فردية مع ترتيبات سياسية مسبقة للتغلب على الصعوبات والنزاعات والاضطرابات، إضافة إلى التخطيط المسبق للطوارئ والسيطرة على الأضرار، إلا أن فيروس كورونا أثبت فشل المجتمع الدولي والقيادة العالمية وقدرته في التعامل بمرونة مع الأزمات وإدارتها، بمقارنة مع ازمات أخرى كما هو حال هجمات الحادي عشر من أيلول 2001 والأزمة الاقتصادية العالمية 2008 اللتين أظهرتا تضامنًا وتنسيقًا عالميين يتناسبان مع حجم التحدي[38].

على الرغم من صعوبة رسم ملامح النظام الدولي القادم، أو ما سيكون عليه عالم ما بعد كورونا، إلا أن الشيء المؤكد هو أن العالم قادم على تغيير في بنية وشكل علاقاته وطبيعة التوازنات السياسية والاقتصادية وتغيير في دواعي تشكيل الأحلاف.

رابعًا: المسارات المحتملة لمستقبل القوة الصينية بعد جائحة كورنا

كيف يمكن تحديد الصين؟ سؤال طرحة المؤرخ الفرنسي المشهور Jacque Garnet في مقدمة كتابه الأشهر Le Monde Chinois الصادر عام 1972 وقد أراد من هذا التساؤل أن يصل إلى التعريف الجغرافي والحضاري للتاريخ الصيني الممتد والمتواصل مستحضرًا التغيرات الكبيرة التي مر بها العالم الصيني ومراحل تطوره وجوانبه المختلفة، ولكي يعطي أيضًا صورة عن الاستمرارية التي تمتعت فيها الوطنية الصينية[39].

واليوم يبدو أنه ما زال من الممكن استعارة جملة السبعينيات للتعبير عن ما سيكون عليه واقع الصين ومستقبلها، إذ توحي لنا صعوبة تحديد الصين التي ما تزال تتمتع بخاصية التطور والتوسع، فإذا كان العالم الصيني عند غارنيه هو الأراضي الصينية والصينيون في الشتات، فإنه اليوم ربما تجاوز هذا التعريف لينتقل إلى مساحات أوسع

[38] YANG, op, cit, p. 15 – 17.

[39] GERNET Jacques, Le Monde Chinois, Armand Colin, paris 1999, pp. 9- 10

وأرحب مدفوعًا بعوامل اقتصادية ومنافع تجارية وطموحات سياسية ما تزال دون المتوقع. فصين اليوم لم تعد تلك المملكة الوسطى التي اختارت العزلة الطوعية وقبلت بسيادتها على مساحات جغرافية قريبة وعلى شعوب آسيوية مجاورة قدرت تفوقها وسموها الحضاري، لا بل هي تلك القوة التي تنافس القوة العظمى الوحيدة في العالم على السيادة والهيمنة، وهي القوة التي تبحث من دون كلل على مكانة سياسية لها ودور عالمي مؤثر يوازي بأي حال مكانتها الاقتصادية أو على الأقل يلبي الطموحات السياسية للقيادة والشعب الصينيين. فالوطنية الصينية اليوم تجاوزت حدود الوطن الصيني أو العالَم الصيني لتصل إلى كل مكان يمكن أن تجد فيها مصالحها؛ في الشرق الأوسط أو في قارة أفريقيا أو حتى في الولايات المتحدة الأمريكية.

أول المسارات المتوقعة لشكل النظام العالمي في فترة ما بعد الوباء هو تكريس القومية وترسيخ سلطة الدولة وقيادتها للنظام الدولي واستمرار المنافسة بين القوى الكبرى مع استمرار بحث بعض الدول الكبرى الطامحة لإيجاد شكل جديد للنظام الدولي يمكنها من تحقيق المزيد من المصالح وممارسة دور عالمي أكثر فاعلية. فالتنافس الأمريكي – الصيني مستمر ومتنامي وربما لعقود قادمة، ولكن مع الحرص الدائم من قبل الصين الشعبية أن يكون لها مكان السيادة والتفوق في آسيا وبالتالي العودة إلى التقليد الكونفشيوسي في أن الصين هي المركز بينما الدول المجاورة تدور في فلكها وتدين لها بالتفوق والسيادة في الوقت الذي تسعى فيه الولايات المتحدة الأمريكية لمنع ذلك والحيلولة دون تحقيقه.

بدت الصين في فترة الوباء نموذجًا يعني التقدم والفعالية وهو نموذج عكس الغربي الذي بدا – باستثناء بعض الدول – هشًا يحتاج إن لم يكن للتغير إلى إعادة نظر. وقد أصبح الحديث عن النموذج الصيني إلى جانب نماذج أوربية أخرى في طريقة التعامل مع الوباء. فالصين أظهرت قدرة كبيرة وفعالية صارمة في مواجهة الجائحة؛ فالشمولية التي مورست على كافة المستويات والقدرات التنظيمية والتقنية الكبيرة التي وضّفتها

الحكومة الصينية مكنتها من إدارة الأزمة بنجاح كبير وخلال فترة زمنية قصيرة، وهو بلا شك سيكون له تأثير ليس فقط على مستقبل النظام الدولي وموازين القوى، لا بل على الوعي العالم[40].

ستعيد مرحلة كورونا الحديث عن شكل النظام الدولي لمرحلة ما بعد الوباء، وستتكرر نفس التساؤلات الموجودة قبله؛ هل ستتغير طبيعة النظام الدولي، وما هو شكل هذا التغير، هل سيبقى النظام أحادي القطبية خاضع لهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، أم أن المجال أصبح واسعًا ومؤهلًا لظهور الصين كقوة قادرة على قيادة العالم في ظل الحديث عن عدم وجود رغبة حقيقة لدى الصين لذلك؟ وهل سيعود النظام إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ليصبح متعدد الأقطاب أو ثنائي القطبية كما هو خلال فترة ما بين الحربين؟ مما لا شك فيه أنها أسئلة كثير تُطرح لكن من دون إجابات واضحة ومحددة؛ فالظروف لم تنضج بعد لذلك، والمعلومات المتوفرة ما زالت أقل من ان يُستند عليها لإثبات أي من الفرضيات التي تم الحديث عنها أعلاه.

فالقيادة الصينية في القرن الحالي ترى أن الصين اليوم مهتمة باستعادة اليد العليا التي كانت لها وأنها لن تتسامح مرة أخرى عند تعرضها للتنمر من قبل دول أخرى، فالدبلوماسية الصينية تتحول إلى التهديد والمواجهة عندما تتعرض للتهديد من قبل دول أخرى؛ فالصينيون لا ينظرون إلى انفسهم على أنهم يريدون أن يكونوا قوة عظمى؛ لا بل إنهم يعتقدون انهم يستحقون ذلك[41].

المسار الآخر هو أن استمرار الصراعات بين الدول سيدفعها إلى الاختيار والاصطفاف إلى جانب أي من القوى الكبرى، مع وجود قضايا تُجبر هذه الدول على التعاون من عدمه، وربما وباء كورونا أحد أكثر القضايا التي يمكن أن تدفع باتجاه

[40] الزهراوي محمد، "تأثير جائحة كورونا على النظام العالمي... قراءة في المتغيرات الدولية والإقليمية المحتملة"، Journal of the Geopolitics and Geostrategic Intelligence, vo. 3, august 2020, pp. 105 - 106

[41] SCHUMAN, op, cit.

التعاون وتبادل المعلومات بشأنه ليس فقط للقضاء عليه لا بل من أجل أن لا يتكرر تهديد وبائي مشابه يضع العالم ومعه العلاقات الدولية مرة أخرى أمام اختبار صعب يعيدها إلى مربع جديد يفقد فيه الكثير من المكتسبات التي تحققت، على الرغم من أن التاريخ لا يعطي دروسًا مُشجعة على ذلك؛ فردود الأفعال مع أوبئة سابقة كالسارس والإيدز لم تكن أكثر من ردود أفعال واستنفارات انتهت مع القضاء على الوباء أو التقليل من تأثيره. فهل سيكون لكورونا تأثير مختلف من حيث دفع مراكز الأبحاث العالمية ومن ورائها الدول في وضع استراتيجيات واستجابات مستقبلية أكثر مرونة وفاعلية في سبيل وضع خطط مستقبلية وتحقيق خطوات تجعل مواجهة أي جائحة أكثر مرونة وفاعلية؟

مسار آخر يتعلق بعدم اكتفاء الصين بالقوة الاقتصادية ذلك أنها ترغب في ديمومة وضعها الجديد وربطه بخصائص القوة السياسية والثقافية، وربما يكون للقوة الناعمة الصينية بعد انتهاء أزمة جائحة كورونا دورًا مثيرًا في تأكيد أهداف الصين السياسية والاقتصادية والعسكرية. فالصين تريد اللعب بورقة التعددية القطبية لكن من دون أن تتقبل النقد، ذلك أن الخروج من أزمة كورونا يعطي الصين فرصة لفرض قواعدها الخاصة في التجارة الدولية[42].

سيناريو تعزيز القوة الناعمة لا يعد مجرد استراتيجية مؤقتة تسعى الصين إلى تحقيقه. فإنشاء قوة مهيمنة جديدة هو الهدف النهائي الذي تسعى إليه بكين. مما لا شك فيه أن استراتيجية القوة الناعمة التي تتبناها الصين تهدف إلى محاربة التصورات السلبية وسوء الفهم الموجود عند الدول الغربية- وهو تصور ناتج عن دور وسائل الإعلام وتأثيرها؛ تحسين صورة النظام السياسي الصيني على المستوى الدولي، مواجهة التأثرات الكبيرة التي توصف بالهجمة الثقافية الغربية الواسعة الشديدة التي تستهدف شرعية حكم الحزب الواحد، إضافة إلى دفع المقولات والتصورات التي تصف الصعود الصيني بأنه

[42] COURMONT Barthélémy, « La Chine à l'offensive », IRIS éditions, N° 118, 2/ 2020, pp. 167, 171

تهديد وليس نمو اقتصادي خالص. ففي هذا الاطار يشير أحد الباحثين والمهتمين بالشأن الصيني إلى أن دبلوماسية الصين خلال مرحلة الوباء لم تكن ناجحة؛ لا بل كان لها نتائج عكسية وهو ما أدى إلى تدهور صورة الصين في الخارج وهو ما لم يستطع حتى الخبراء الصينيين أنفسهم دحضه أو إخفاءه. فمعاهد الفكر والتفكير الصينية Think Tank نفسها تحدثت عن ذلك، ومنها معاهد العلاقات الدولية المعاصرة التي تصدر أبحاثها تحت إشراف وزارة أمن الدولة الصينية والتي أصدرت في الفترة الأخيرة تقريرًا داخليًا للحكومة يُقيّم المشاعر العالمية المناهضة للصين التي وصلت إلى أعلى مستويات العداء منذ أحداث تيان آن مين 1989[43].

فعلى الرغم من أن النوايا الحسنة لدبلوماسية القناع[44] والمساعدات التي قدمتها الصين قد عبدت الجسور بين الصين والعالم وعززت النوايا الإيجابية بينهما، إلا أن قوة الصين الناعمة تكمن في الصورة التي تأثرت كثيرًا بمرحلة الفيروس التاجي وأضر بها بشكل سيء في خارج حدود الصين وداخلها على حد سواء، حيث دمر الفيروس صورة الصين التي عملت طويلًا على تحسينها: استغلال المرحلة التاريخية لتعزيز استبداد نظام المراقبة المعمم وإحكام السيطرة على المعلومات. فالفيروس التاجي أعاد مرة أخرى النظرة إلى الصين على أنها قوة تهديد وليس قوة بناء مسؤولة، فهل سيُسقط COVID- 19 القوة الناعمة الصينية خاصة مع استمرار الاتهامات للصين بأنها أصل الوباء وصانعته![45]

[43] JULIENNE Marc, "Economy and Diplomacy: China's Two Challenges in the Post-COVID-19 World. Will China Rise Stronger from the Pandemic?" Lettre du Centre Asie, IFRI, N° 82, 19 may 2020, p. 5

[44] PATEY Luke, COVID-19 pandemic is no soft power victory for China, DIIS, 23 avril 2020, site: https://www.diis.dk/en/research/covid-19-pandemic-is-no-soft-power-victory-china

[45] FOUR Jean-Marc, Le coronavirus marque l'échec du soft power chinois, inter France, mardi février 2020. Site : https://www.franceinter.fr/emissions/la-chronique-de/la-chronique-de-04-fevrier-2020

ويبقى المحافظة على واقع داخلي مستقر وآمن وسلمي استنادًا على مفاهيم صينية جديدة؛ تنمية سلمية وعالم متناغم وتسوية سلمية للنزاعات والتوازن بين الحضارات ورفض مبدأ الهيمنة الدولية من أكثر أهداف استراتيجية الصين الناعمة أهمية. ويشير ليانغ ونيتسانغ رئيس المعهد الصيني الشعبي للشؤون الخارجية إلى أن التعددية القطبية التعاونية ستكون السمة الأساسية في النصف الأول من القرن الحالي، إلا أنه يعود ليقول إن تحويل هذه الفرضية أو هذا التصور المستقبلي إلى واقع يحتاج إلى تعاون بين القوى الكبرى التي تود الصين أن يكون لها دورًا محوريًا وحاسمًا فيه[46].

لا يمكن لأي شخص مهما كان عارفًا بتاريخ الصين وحضارتها أن يقدم تصورًا واضحًا ودقيقًا للمسار الذي يمكن أن تسير عليه الصين. فطبيعة النظام السياسي في الدولة الشيوعية، إضافة إلى مرونة القادة الشيوعيون وبراغماتيتهم المدهشة واللامحدودة تجعلهم يتأقلمون بسرعة من أجل إنقاذ النظام في بلادهم تُضيف عقبة جديدة أمام وضع تصور لمستقبل الصين[47].

في اعتقادنا ان أمام الصين مساران لا ثالث لهما. المسار الأول هو الاستمرار في التطوير السياسي الخاضع للرقابة الشديدة مع الحفاظ على النمو الاقتصادي الذي يمكنها من الحفاظ على السلطة. فالصين في هذه الحالة تبقى متيقظة لما يحدث في الداخل وما يجري من تبدلات في النظام الدولي على مبدأ عين على الداخل وأخرى على الخارج. أما السيناريو الثاني فهو الحفاظ على الوضع الراهن ولا سيما ما يتعلق بالعلاقات مع الخارج والمنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية والسعي للحلول محلها كقائد للعالم. مما لا شك فيه أن السيناريو الأخير هو الأكثر منطقية – من وجهة نظرنا – فهي ما تزال

[46] COURMONT Barthélémy, « Le Soft Power Chinois : entre stratégie d'influence et Affirmation du Puissance », Revue d'études Comparatives Est-Ouest, N° 43, 1/ 2012, p. 302.

[47] NORMAND François, Chine : quatre scénarios politiques pour l'avenir, les affaires, 13 April, 2019. Site: https://www.lesaffaires.com/blogues/francois-normand/chine--quatre-scenarios-politiques-pour-l-avenir/609529

بحاجة إلى وقت طويل للتخلص من المشاكل الداخلية وأهمها التخلص من الفوارق الاقتصادية بين الداخل والساحل، وكذلك من الفساد المنتشر بقوة من أجل تطوير نظام سياسي يتوافق مع النظام الاقتصادي. فالأوضاع الاقتصادية والسياسية والإثنية والديمغرافية ما تزال حاضرة ليكون لها دور سلبي، وقادرة على تكرار أحداث ساحة تيان آن مين 1989.

ستمثل المنافسة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية في مرحلة ما بعد COVID – 19 تجديدً للاستقطاب الدولي – الذي ساد خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وانتهى بانهيار الاتحاد السوفييتي– لكن في شكل جديد محاوره الاقتصاد والتجارة والعلم والتكنولوجيا؛ الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد في استقطابها على تهويل الخطر الصيني وتضخيمه من خلال الاستعانة بكل الوسائل المتاحة، والصين من خلال استغلال انكفاء الولايات المتحدة الأمريكية وبداية تخليها عن حلفائها وانسحابها من كثير من مناطق العالم؛ العراق وأفغانستان ومن أزماتها إذ عكس وباء كورونا أحد صور هذا التخلي في الخذلان الذي سببته لحلفائها في أوربا حين لم تقدم المساعدة الكافية لمواجهة الوباء على عكس الصين. فتحسين صورة الصين في مقابل تشويه صورة الولايات المتحدة الأمريكية سيكون أحد وسائل القوتين لسياسة الاستقطاب الجديدة في المرحلة القادمة. وقد دشنت الولايات المتحدة الأمريكية تلك الحملات من خلال تحميل الصين مسؤولية انتشار الوباء وإخفاء المعلومات، في الوقت الذي بدأت فيه الصين تحصد نتائج مساهمتها في الحرب على الجائحة ومواجهته في تحسين صورتها والاحترام الذي حظيت به نتيجة ما حققه نظامها الصحي وأدواتها التكنولوجية[48].

تدل المؤشرات التي رافقت المرحلة التي انتشر فيها الوباء إلى أن الحديث عن الصراع القادم لفترة ما بعد مرحلة كورونا بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية قد يدفع

[48] بلقزيز عبد الإله، "ملامح العالم ما بعد كورونا"، مجلة المستقبل العربي، العدد 501، تشرين الثاني 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 115 – 116.

إلى تطورات متسارعة تجعل من بكين المرشحة الوحيدة لقيادة العالم ولا سيما على المستوى الاقتصادي وذلك خلال العشرين سنة القادمة، وما يعزز هذا التحول هو التحالف مع الحوض الأوراسي بزعامة عسكرية وسياسية من قبل روسيا[49].

يبقى النقاش حول مستقبل عالم ما بعد مرحلة كوفيد – 19 متمحورًا حول ثلاث تيارات: الأول يؤكد على أنه لا بديل في المدى الحالي والمتوسط للقوة الأمريكية كقائد للنظام العالمي ومهيمن عليه، بينما يتنبأ التيار الثاني بأن عالم ما بعد كوفيد – 19 أو ما بعد الولايات المتحدة الأمريكية سيكون عالم آسيوي تكون الهيمنة فيه للقوة الصين الجديدة. أما التيار الثالث فيعتقد أن العالم في طريقة إلى تكرار نظام معاهدة وستفاليا سنة 1648 المنظم لكن هذه المرة ضمن حدود مغلقة ومراقبة إلى حد كبير. ويبرهن أصحاب التيار الأول على رأيهم بأن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تمتلك القدرة على ممارسة دور إيجابي وفاعل في العالم؛ فصورة الثقافة الشعبية لواشنطن ووجود الجامعات والقدرة على الابتكار وتقاليد الحرية السياسية والمكتسبات الديمقراطية كلها عوامل تدعم وتعزز من قوة الولايات المتحدة الأمريكية الناعمة وتحافظ على ديمومتها واستمرارها[50]. أما المؤيدون لبروز الصين قوة عالمية فيستمدون حججهم من تراجع قوة الولايات المتحدة الأمريكية وانسحابها من كثير من مناطق وقضايا العالم ومنها تراجع علاقتها مع حلفائها الغربيين على وجه الخصوص. بينما مؤيدو ظهور نظام شبيه بنظام ويستفاليا فيعتمدون على حجج تعتمد على معطيات تراجع دور الولايات المتحدة في العالم من جهة، وأن الصين ليس لديها القدرة والإمكانيات في الوقت الحالي لتحل محل الولايات المتحدة الأمريكية أو قيادة العالم.

---

[49] أبو حسنة نافذ، "كورونا والنظام الدولي"، مجلة المستقبل العربي، العدد 499، أيلول 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 147

[50] MARDON Laurence, COVID -19 : la fin du leadership américain? 14 avril 2020, Institut Français des Relations Internationales. Site: https://www.ifri.org/fr/publications/editoriaux-de-lifri/chroniques-americaines/covid-19-fin-leadership-americain

لعل أكثر العوائق أهمية في أن تصبح الصين القوة العالمية المهيمنة بدلًا من الولايات المتحدة الأمريكية يتمثل في طبيعة النظام السياسي الشيوعي الشمولي الحاكم في الصين. فهذا النظام الذي نجح في الصين واستطاع تطويرها وتحديثها حتى أصبحت قوة عالمية مهمة لا يلقى قبولًا على المستوى العالمي وهو في الوقت نفسه عاجز عن قيادة العالم وهزيمة الولايات المتحدة الأمريكية. لذلك جُل ما تسعى إليه الصين هي أن تكون شريكًا بنسبة معينة في قيادة النظام الدولي المستقبلي. يضاف إلى هذا العائق عوائق أخرى صلبة وناعمة تتمثل في أن اللغة الصينية والمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد الصينية لا تلقى رواجًا خارج حدود منطقة الشرق الأقصى، والقوة العسكرية الصينية لا توازي قوة الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية، إضافة إلى هذه الأخيرة هي دولة مبدعة في المجال الصناعي والتكنولوجي بعكس الصين التي ينظر إليها على أنها دواة مقلدة في صناعاتها وتكنولوجيتها.

الخاتمة:

لا يُشك إطلاقًا حين مراقبة تعامل الصين مع وباء كورونا منذ بدايته وخاصة أنها موطن هذا العدو الفيروسي الخفي، أن النجاح والقدرة الفعالة والسريعة في مواجهته والتعامل معه انعكس بشكل إيجابي على مستقبل نظرة الآخر لمكانة الصين المفترضة في النظام الدولي المستقبلي. فالصين من كورونا وصاعدًا أصبحت في نظر الكثير من الدول المتخلفة والمتقدمة قوة قادرة ليس فقط في احتواء أي خطر يواجهها؛ لا بل وفي قيادة أي جهود دولية لمواجهة أزمات عالمية خطيرة يمكن أن تشكل تهديدًا للأمن البشري. كما قدم هذا النجاح للصين فرصة لتوسيع وتقوية شبكة علاقاتها الدولية حيث عكست مواقف وتصريحات المسئولين في دول الاتحاد الأوربي هذا النجاح وخاصة من جهة تقديم الصين المساعدة اللوجستية لبعض دول الاتحاد من أجل مواجهة الوباء.

مما لا شك فيه أن ظاهرة بروز القوة الصينية واضحة وتراجع تأثير القوة الأمريكية أيضًا واضحة. ولأننا لا نريد هنا أن نقلل من هاتين الحقيقتين إلا أن التوصيف الذي

أتبناه هو أن القديم لم يمت وان الجديد لم يولد وأن التغير كما يثبت التاريخ بطيء الحدوث وإن حدث فهو بطيء التأثير. انطلاقًا من ذلك فإن القوة الأمريكية ما زالت نفسها دون أن تتغير إلا من خلال مناورات سياسية أو تكتيكية تتطلبها المرحلة التاريخية أو طبيعة الأوضاع في المكان الذي تمارس فيه الولايات المتحدة الأمريكية السيادة، فكل الإجراءات الأمريكية التي اعتقد البعض أنها دليل عجز وضعف لها أثبتت الاحداث والتاريخ أنها لم تكن سوى خطط بعيدة المدى تبنتها الإدارة الأمريكية مكنتها من إعادة رسم خطوط عملية لقيادة العالم وسياسته وفق مقتضى مصلحتها وقدرتها[51] وليس أفغانستان إلا أكبر دليل على هذا التوصيف. فالقوى الأخرى التي تسعى لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية وبشكل خاص الصين نمت في العقود الاخيرة وحققت إنجازات كبيرة أوصلتها إلى مراتب متقدمة على المستوى العالمي، الاقتصادي على وجه الخصوص، إلا أنها لم – ولن تمتلك القوة الشاملة في المدى القصير والمتوسط – التي تؤهلها لأخذ مكانة واشنطن أو تحمل مسؤولياتها وهو ما تدركه القيادة في الصين والحزب الشيوعي على حد سواء. باختصار، إن تنامي القوة الآسيوية – الصينية ومنافستها في بعض شؤون العالم أوحى للكثيرين أن القوة الأمريكية بدأت تضعف وتتراجع لتحل محلها القوة الصينية، مع أن أرض وواقع العالم السياسي والعلاقات الدولية يعطي مؤشرات عكس ذلك.

[51] لا نعتقد ان تفسير تراجع مكانة الولايات المتحدة الأمريكية مرتبط بتراجع مكانتها وقدراتها التي ما تزال الأولى على المستوى العالمي هو تفسير صحيح ينسجم مع الواقع الحقيقي، وإنما هو تراجع مرتبط بسياسات انتهجتها بعض الإدارات الأمريكية التي رأت أن اعتماد سياسة الانسحاب من بعض المناطق أو من بعض الأزمات العالمية يمثل – في وقته – مصلحة أمن قومي لبلادها. ويرى كثير من المحللين والمهتمين أن عودة الولايات المتحدة الأمريكية إلى وضعها والتراجع عن سياسة الانسحاب تلك مرتبط باعتماد تلك الإدارة سياسة جديدة مختلفة يمكن أن تعزز من مكانتها كقوة عظمى وحيدة ومهيمنة في النظام الدولي الحالي.

ومع ذلك، ما تزال القطبية الأحادية مسيطرة مع استمرار الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي على الرغم من تنامي قوى أخرى وظهورها المتزايد على مسرح القرار الدولي وأهمها الصين. ومع ذلك، فإن هذه الحالة لا تعني إطلاقًا استقرار النظام الدولي الذي شهد العديد من الأزمات الدولية، والتهديدات العابرة للحدود والمسافات وأهمها الإرهاب الدولي والقرصنة والتهديدات الجرثومية المجهرية. وقد وصف هنري كيسنجر في كتابة " النظام الدولي، 2015" الحالة العامة للنظام الدولي بأنها حالة اللا نظام[52]. فالتهديدات بدأت مع بداية النظام الدولي بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي، إلا أن أكثر تلك التطورات أهمية هي تلك المتمثلة بزيادة حدة التنافس الدولي بين الدول الكبرى وتعدد مجالاته المترافق مع تبدل الحيز الجغرافي لهذا التنافس وبداية انتقاله من مناطق يمكن أن نسميها مناطق تنافس تاريخية إلى مناطق جديدة؛ من الشرق الأوسط إلى الشرق الآسيوي ترافق مع حدوث تحولات في موازين القوى الدولية.

مسارات النظام العالمي ما بعد كورونا لن تختلف عما كانت عليه في ظل جائحة كورونا: التنافس الأمريكي – الصيني سيستمر وفق الوتيرة نفسها وعلى أنغام القضايا الخلافية نفسها، والقيادة الأمريكية للعالم ستبقى بنفس القوة والوتيرة مع وجود منافسة شديدة من قبل الصيني لكن ليس في كل المناطق وإنما في مناطق بعينها وهي الجوار الإقليمي للصين. فعصر ما بعد الغرب[53] وانتقال القوة من الغرب الأوربي – الأمريكي إلى الشرق الآسيوي – الصيني لا يعني – حسب وجهة نظري – انتقال سيادة العالم وقيادتها، فكما أن الصين موجودة في آسيا مستقبل القوة الجديد فإن الوجود الامريكي التاريخي؛ الاقتصادي والسياسي والعسكري موجود وبقوة لا بل ومهيمن، فظهور القوة الصينية وتفوقها لن يكون بوجود امريكي متفرج....

[52] هيكل فتوح، "عالم ما بعد "كوفيد– 19" حدود التغيير المحتمل في النظام العالمي"، ترينذز للبحوث والاستشارات – اتجاهات استراتيجية (2)، اغسطس 2020، ص 11، 15

[53] تحول المحور الجيو استراتيجي لفترة ما بعد الحرب الباردة بشكل تدريجي من أوربا إلى منطقة المحيطين الهندي والهادي.

ويبقى المسار الأهم هو الذي يتعلق بالتساؤل حول من هي الدولة الأكثر استفادة أو الأكثر تضررًا من فترة الوباء؛ هل هي الولايات المتحدة الأمريكية المتضررة إذ تعرض موقعها في النظام الدولي للخلل وهيمنتها العالمية للتراجع؟ أم الصين الشعبية المستفيدة الصاعدة والطامحة حيث سيُفعّل وباء كورونا من دورها العالمي ويظهر الإيجابيات التي يمكن أن تقدمها الصين في حال مارست بالفعل الدور العالمي الذي تستحقه ولاسيما في ظل التساؤلات حول ما إذا كانت الصين ستأخذ مكان منافستها العالمية الولايات المتحدة الأمريكية في قمة هرم السلطة في النظام الدولي الجديد؟ ربما يحتاج العالم إلى عقد من الزمن أو أكثر ليحدد ملامح واقع ما بعد الوباء، وسيبقى التنافس بين الدولتين ومواقف الدول الأخرى من هذه التنافس ولاسيما روسيا والاتحاد الأوربي حاسمًا في الإجابة على هذه التساؤلات. والأمل يبقى في المراهنة على إمكانية أن تصبح الصفقات المستحيلة ممكنة في ظل واقع جديد وظروف مختلفة.

دعمت النجاحات المهمة التي حققتها الصين في مواجهة فيروس COVID – 19 مع النجاحات الاقتصادية المهمة التي حققتها منذ عام 1978 من الثقة التي يمتلكها الشعب الصيني بقدرة بلادة على مواجهة أي أزمة مهما بلغ شأنها، كما زادت من ثقة القيادة الصينية بالاستراتيجيات التي اعتمدتها وزادت من يقينهم بأنهم قادرون على المنافسة في أي ميدان وفي أي مكان من العالم. هذه الثقة التي ولدتها تلك النجاحات ستكون دافع حاسم للصين كي تصل لقناعة مهمة في أنها قادرة على تحقيق نجاحات كبيرة وتفوق أكبر في ميدان تنافسها مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يبق ما يمنعها من أن تطالب بدور لها مواز لتلك النجاحات التي حققتها لتكسر بذلك متلازمة القوى الآسيوية عملاق اقتصادي – قزم سياسي وتصبح عملاق على المستويين الاقتصادي والسياسي.

المراجع العربية:

1. أبو حسنة نافذ، " كورونا والنظام الدولي"، مجلة المستقبل العربي، العدد 499، أيلول 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
2. انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من منظمة الصحة العالمية يستنزف مواردها الضئيلة، France24، 23 / 5 / 2020. على الرابط: france24.com/ar/20200530/
3. بلقزيز عبد الإله، " ملامح العالم ما بعد كورونا"، مجلة المستقبل العربي، العدد 501، تشرين الثاني 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
4. بوبوش محمد، "تداعيات أزمة كورونا على مستقبل قضايا النظام الدولي"، مجلة حمورابي، العدد 33 – 34، السنة الثامنة، شتاء – ربيع 2020.
5. تصاعد حدة الخلاف والتهديد بين أمريكا والصين حول نشأة فيروس كورونا، سبوتنك عربي، 21 / 6 / 2021. على الرابط: arabicsputniknews.com/world/
6. التعاون الصيني – الاوربي في مكافحة الوباء يمهد الطريق للانتعاش الاقتصادي، Arabic.News.cn، 8/ 9 /2020. على الرابط:

http://arabic.news.cn/2020-09/08/c_139352067.htm . نقلًا عن وكالة شينخوا الصينية في أيلول 2020.

7. جمال إيثار، ليس عنصريًا مثل كولومبس، تعرف إلى البحار الصيني المسلم الذي سبقه بـ 100 عام، ساسة بوست، تشرين الثاني 2018. على الرابط: https://www.sasapost.com/the-chinese-sailor-who-discovered-the-world-before-columbus/
8. رايشاور، أدوين، اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 136، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نيسان 1989.

9. الزهراوي محمد، "تأثير جائحة كورونا على النظام العالمي... قراءة في المتغيرات الدولية والإقليمية المحتملة"، Journal of the Geopolitics and Geostrategic Intelligence, vo. 3, august 2020, pp. 105 - 106
10. صديق محمد، "تصاعد دور الصين كنموذج لاحتواء كورونا"، مجلة شؤون عربية، العدد 182، 17 يونيو 2020. على الرابط:
https://arabaffairsonline.com
11. علان عمرو: "أمريكا والصين: هل من حرب باردة جديدة؟" مجلة المستقبل العربي، العدد 501، تشرين الثاني 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2020.
12. فريدمان جورج، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة منذر محمود محمد، دار الفرقد، دمشق 2019.
13. فريق من الصحة العالمية يصل ووهان لتحري منشأ كورونا، DW، 14 – 1 – 2021. على الرابط: https://www.dw.com/ar
14. ميشرا سيتاكانتا، النظام العالمي ما بعد الجائحة تسع مؤشرات، ترجمة ريهام صالح خفاجي، مكتبة الاسكندرية، 2021.
15. هكذا يبدو العالم بعد كورونا.. نهاية النفوذ الأمريكي وصعود الصين، موقع الجزيرة نت، 2020/3/21. على الرابط: aljazeera.net/news/politics. منقول عن مجلة فورن بوليسي.
16. هيكل فتوح، "عالم ما بعد "كوفيد- 19" حدود التغيير المحتمل في النظام العالمي"، ترينـدز للبحوث والاستشارات – اتجاهات استراتيجية (2)، اغسطس 2020.

المراجع الأجنبية:

1. Après la pandémie liée au coronavirus: un ordre mondial à réinventer, Le Monde, 30 avril 2020. Site : https://www.lemonde.fr
2. BÉGUIN G., La cité interdite des fils du ciel, Paris, Gallimard, 1996.
3. COURMONT Barthélémy, La Chine à l'offensive, IRIS éditions, N° 118, 2/ 2020.
4. COURMONT Barthélémy, « Le Soft Power Chinois : entre stratégie d'influence et Affirmation du Puissance », Revue d'études Comparatives Est-Ouest, N° 43, 1/ 2012.
5. FOUR Jean-Marc, Le coronavirus marque l'échec du soft power chinois, inter France, mardi février 2020. Site : https://www.franceinter.fr/emissions/la-chronique-de/la-chronique-de-04-fevrier-2020
6. FUKUYAMA Francis, "The Pandamic and Political Order it Takes a State", Foreign Affairs, July / August 2020. Web: https://www.foreignaffairs.com
7. GERNET Jacques, Le Monde Chinois, Armand Colin, paris 1999.
8. JULIENNE Marc, "Economy and Diplomacy: China's Two Challenges in the Post-COVID-19 World. Will China Rise Stronger from the Pandemic?" Lettre du Centre Asie, IFRI, N° 82, 19 may 2020.
9. MACHROUH Jamal, Corona virus, Risque Global et Ordre Mondial, Policy Brief, Policy center for the New South, April 2020.
10. MARDON Laurence, COVID -19 : la fin du leadership américain? 14 avril 2020, Institut Français des Relations Internationales. Site: https://www.ifri.org/fr/publications/editoriaux-de-lifri/chroniques-americaines/covid-19-fin-leadership-americain
11. NOOTEN Carrie et BERNARD Philippe. L, ONU, Symbole du désordre mondial, Le Monde, Publié le 29 avril 2020. Site: https://www.lemonde.fr/idees/article/2020/04/29/l-onu-symbole-du-desordre-mondial_6038075_3232.html
12. NORMAND François, Chine : quatre scénarios politiques pour l'avenir, les affaires, 13 April, 2019. Site: https://www.lesaffaires.com/blogues/francois-normand/chine--quatre- scenarios-politiques-pour-l-avenir/609529

13. PATEY Luke, COVID-19 pandemic is no soft power victory for China, DIIS, 23 avril 2020, site: https://www.diis.dk/en/research/covid-19-pandemic-is-no-soft-power-victory-china
14. RAMZY Austin, With Lengthy Sentence, Hong Kong Uses Security Law to Clamp Down on Speech, The New York Times, 11 November 2021. Web site: https://www.nytimes.com/article/hong-kong-security-law-speech.html
15. SCHUMAN Michael, What Happens When China Leads the World, The Atlantic, 5 October 2020. Website: https://www.theatlantic.com/international/archive/2020/10/what-kind-superpower-will-china-be/616580/
16. WALT Stephen, The Global Order after Covid 19, 14 October 2021, Brave New World. Website: https://www.youtube.com/watch?v=1dpFZdiSnuQ
17. YANG Jiemian, "Major Power Relations in Post- Pandemic World Orders", China Quarterly of International Strategic Studies, Vol 6, N° 1, 2020.